

## المحاضرة العاشرة

### اللفظ والمعنى

الأستاذان: - داود امحمد

- زروقي عبد القادر

ملاحظة: في السداسي الأول كان عنوان المحاضرة الثامنة: قضية اللفظ والمعنى عند النقاد المشاركة، حيث وقفنا على آراء النقاد ومواقفهم من قضية اللفظ والمعنى وهذه المحاضرة وهي العاشرة من السداسي الثاني، تحمل عنوان: قضية اللفظ والمعنى، مما يعني أهمية القضية واتساع مجال البحث فيها.

سنقف من خلالها عند أحد أبرز النقاد وهو من المهتمين بالقضية إنه أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (المتوفى: 463 هـ) وكتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده حيث خصص لهذه القضية بابا سماه "باب في اللفظ والمعنى" يبدأه بقوله: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته".

ثم يقول: "ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب" والظاهر أنه يقصد بالناس الشعراء خاصة، لأنه سيذكر هذه الآراء والمذاهب ويمثل لها بأقوال الشعراء، وهذه المذاهب هي:

أنصار الألفاظ وأنصار المعاني، وإذا كان أنصار المعاني يعتنون بالمعاني ولو على حساب الألفاظ، فإن أنصار الألفاظ يختلفون، وبين ابن رشيق هذه الاختلافات حسب ما يأتي:

1. **تقديم اللفظ على المعنى:** حيث يقول: منهم "من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده" وهؤلاء الذين يؤثرون اللفظ على المعنى ينقسمون إلى فرقتين من حيث اختيارهم للألفاظ:

**الأولى:** يميلون إلى الفخامة والجزالة

**الثانية:** أصحاب جلبة وقعقة بلا طائل معنى إلا القليل النادر

مثل للفرقة الأولى بقول بشار:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرَّةً ... هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطِّرَ الدَّمَ  
إِذَا مَا أَعَزَّنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ... ذُرَّا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

فهو برأي ابن رشيق دال على القوة، ومناسب لغرض الافتخار. وقد قال قائل لبشار إنك بقولك: تثير النقع وتخلع القلوب. وبرأي شوقي ضيف: فيه نفس متانة البناء ونفس الصياغة الباهرة التي تميز بها شعراء العرب السابقين من أمثال زهير والنابغة وجريز، وإنه ليضيف إلى معانيه مبالغة تزيدها جمالاً (شوقي ضيف الفن ومذاهبه في الشعر 153)

ومثل للفرقة الثانية بقول: أبي القاسم بن هانئ:

أصاحت فقالت: وقع أجرد شيطم ... وشامت فقالت: لمع أبيض مخدم  
وما ذعرت إلا لجرس حلما ... ولا رمقت إلا برى في مخدّم

شرح البيتين:

(1-أصاحت: أرهفت السمع. الأجرد: من صفات الخيل الكريمة. الشيطم: الطويل القوي من الخيل. شام البرق: نظر إليه. والأبيض: السيف. والمخدّم: القاطع.

2-جرس: صوت. رمق الشيء: لحظه لحظاً خفيفاً. برى: جمع بره، وهي هنا الخلخال. المخدم: موضع الخلخال).

ويعلق ابن رشيق على هذا الشعر بقوله "وليس تحت هذا كله إلا الفساد، وخلاف المراد"، فالشاعر اختار ألفاظاً غير مناسبة لغرضه، حيث "يصف امرأة تترقبه، فتوهمت وقع حوافر فرس، ولمع سيف، وإذا بها تسمع حلما، وترى لمعها، ومن يستمع لهذا الصخب اللفظي يظن أنه حماسة أو حرب قائمة" (أحمد الشايب، الأسلوب، 173)

2. إيثار الألفاظ السهلة: حيث يقول: "ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها" واغتفر

له فيها الركافة واللين المفرط: كأبي العتاهية، وعباس بن الأحنف، ومن تابعهما، وهم يرون الغاية قول أبي العتاهية:

يا إخوتي إن الهوى قاتلي ... فيسروا الأكفان من عاجل  
ولا تلوموا في اتباع الهوى ... فإنني في شغل شاغل  
عيني على عتبة منهلة ... بدمعها المنسكب السائل  
يا من رأى قبلي قتيلاً بكى ... من شدة الوجد على القاتل  
بسطت كفي نحوكم سائلاً ... ماذا تردون على السائل؟  
إن لم تنيلوه فقولوا له ... قولاً جميلاً بدل النائل

أو كنتم العام على عسرة ... منه فمئوه إلى قابل

وقد ذكر أن أبا العتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحاك الخليلع اجتمعوا يوماً، فقال أبو نواس: لينشد كل واحد قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء، فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة، فسلما له وامتنعا من الإنشاد بعده، وقالوا له: أما مع سهولة هذه الألفاظ، وملاحة هذا القصد، وحسن هذه الإشارات؛ فلا ننشد شيئاً، وذلك في بابه من الغزل جيد أيضاً لا يفضلها غيره.

**3. تقديم المعنى على اللفظ:** حيث يقول: "ومئهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونتته: كابن الرومي، وأبي الطيب، ومن شاكلهما: هؤلاء المطبوعون" وهذا ما تميز به أيضاً أبوتمام حيث أشار الأمدي في موازنته إلى اهتمام أبي تمام "بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه، على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة، وإنه إذا لاح له أخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف أو قوي" الموازنة 421/1.

وبعد حديثه عن مذاهب الشعراء في قضية الألفاظ والمعاني يستوقفنا ابن رشيق عند ملاحظة مهمة وهي أن "أكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى"، ويورد تبريراً لأهمية اللفظ بقوله: "سمعت بعض الحذاق يقول: قال العلماء: اللفظ أغلى من المعنى ثمناً، وأعظم قيمة، وأعز مطلباً؛ فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف، ألا ترى أن رجلاً أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر، وفي الإقدام بالأسد، وفي المضء بالسيف، وفي العزم بالسيل، وفي الحسن بالشمس فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلالها من اللفظ الجيد الجامع للركة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر".

كما تحدث أبو هلال العسكري عن الألفاظ والمعاني وما يجب أن تكون عليه تحت عنوان: "في تمييز الكلام"

يقول: "الكلام- أيدك الله- يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه بهواديته (أوائله بأواخره)، وموافقة مآخيره لمبادئه، مع قلّة ضروراته، بل عدمها أصلاً، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر؛ فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه؛ وكمال صوغه وتركيبه". كتاب الصناعتين، 55

ويقول أيضا: "فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة، والجزالة، والسهولة، والرّصانة، مع السلاسة والنصاعة، واشتمل على الرّونق والطلاوة، وسلم من حيف (الحيف الميل) التآليف، وبعد عن سماجة التركيب، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يرده، وعلى السّمع المصيب استوعبه ولم يمّجه؛ والنفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ، وتقلق من الجاسى (الصلب الغليظ) البشع؛ وجميع جوارح البدن وحواسّه تسكن إلى ما يوافقه، وتنفر عمّا يضادّه ويخالفه؛ والعين تألف الحسن، وتقذى بالقبيح؛ والأنف يرتاح للطيب، وينغر (نغر: غضب واغتاظ) للمنتن؛ والفم يلتذّ بالحلو، ويمجّ المرّ؛ والسمع يتشوّف للصواب الرائع وينزوى عن الجهير الهائل؛ واليد تنعم باللّين، وتتأذى بالخشن؛ والفهم يأنس من الكلام بالمعروف، ويسكن إلى المألوف، ويصغى إلى الصواب، ويهرب من المحال، وينقبض عن الوخم، ويتأخّر عن الجافى الغليظ، ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب، والرويّة الفاسدة". كتاب الصناعتين، 57